حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب . ٢٠١٢م

٢

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مدينتا النجف والكوفة
دراسة تاريخية في تخطيطهما

الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم

رئيس جامعة الكوفة الأسبق

المقدمة

يعد تخطيط المدن في عصر الإسلام مظهراً حضارياً وعربياً إسلاميا، وقد كان العراق أول بلد قد حظي بهذا المظهر الحضاري في التاريخ العربي الإسلامي، وكانت أرض السواد من العراق قد خططت فيها مدينتا البصرة والكوفة في عامي ١٤و١٧ هجرية، وذلك في العصر الراشدي، وخططت مدينة واسط عام ٨٣هـ في العصر الأموي، وخططت مدينتا بغداد والنجف الأشرف في عامي ١٤٥و١٧٠ هجرية في العصر العباسي، وتلتقي تخطيطات المدن العراقية في الكثير من الخصائص عدا بعض المزايا الى تتصف بها هذه المدينة عن تلك، فقد يكون العامل العسكري او السياسي أو الديني في مقدمة العوامل الأخرى، فقد ارتبط تأسيس الكوفة بعملية فتح العرب المسلمين للعراق، وبعد طرد الفلول العسكرية الساسانية من أرض السواد، شعر العرب المسلمون بالحاجة الى إنشاء دار هجرة على تخوم البلاد المفتوحة، تكون بمثابة المعسكر والمركز للهجرة في الوقت نفسه[١].

وأصبحت مدينة الكوفة وغيرها من الأمصار العربية الإسلامية محطة المجاهدين، ومستقر القبائل، وحلقة الوصل بين المدينة المنورة (عاصمة المسلمين) والمناطق المحررة والمفتوحة، وقد اتخذ المجاهدون من مدينة الكوفة خطا مفتوحا، يؤمن رجعتهم في حالة تعرضهم للخطر، فيحتمون بها عندما يضايقهم العدو، كما أنها كانت مركزا تموينيا للجيوش التي تحارب في الجبهات العسكرية في العراق والمناطق الشرقية[٢].

واذا كان العامل العسكري قد احتل مركز الصدارة في تأسيس مدينة الكوفة فان العامل الديني كان في مركز الصدارة في تأسيس مدينة النجف الأشرف، فقد تحدد موقع المدينة بضريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تمحور الناس حول مرقده الشريف، ودفن موتاهم بالقرب منه، استنادا لأحاديث شريفة ومرويات تحبذ ذلك، وفي تأسيس مدينتي الكوفة والنجف ظاهرة اشتركت فيها هاتان المدينتان على الرغم من الفارق الزمني في تأسيسهما وهو «الإرث التاريخي» فقد تأسست مدينة الكوفة على أنقاض مدينة الحيرة، تلك المدينة العربية العريقة التى كانت عاصمة لدولة المناذرة في عصر ما قبل الاسلام، فاصبحت الكوفة وريثة الحيرة وقد بنيت من حجارتها، وتأسست مدينة النجف على أنقاض الكوفة تلك المدينة التي احتلت مركز الولاية ومن ثم العاصمة للدولة العربية الاسلامية، فقد بنيت النجف من حجارة الكوفة وانقاضها وورثت مدرستها العلمية والفكرية منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وسوف يتركز بحثنا على تخطيط مدينتي الكوفة والنجف وبيان خصائصهما العمرنية والحضارية.

تخطيط مدينة الكوفة:

كانت مدينة الكوفة كأختها مدينة البصرة التي سبقتها في التأسيس ثلاث سنين، فقد تأسست مدينة البصرة عام ١٤هـ ومدينة الكوفة عام ١٧هـ في أصح الروايات وتجمعت في تأسيس مدينة الكوفة ستة عوامل هي:

١- العامل العسكري.

٢- العامل الجغرافي.

٣- العامل التاريخي.

٤- العامل الفكري.

٥- العامل الاجتماعي.

٦- العامل الاقتصادي.

(١) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية، ص٦.

(٢) مصطفى الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، ص٨٦- ص٨٧.

وكان العامل العسكري في مقدمة العوامل، لذا أطلق على الكوفة لفظ (كوفة الجند)[1]. وقد اختبرت لتكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ثم أصبحت معسكرا ثابتا، فقد أشارت المصادر إلى ان الكوفة «دار هجرة ومنزل جهاد» و«دار الهجرة وقيروان»[2]. ومعنى القيروان معظم الكتيبة[3]. وأطلق لفظ «المقاتلة» على المرابطين على حدود الكوفة والزاحفين نحو العراق من شبه الجزيرة العربية، وهكذا مما جعل مدينة الكوفة تشكل ثمرة مباشرة لعملية من عمليات الفتح الخاطف معللة اياها ومشكلة بدورها امتدادها[4]. وقد أعطى موقع الكوفة أهمية جغرافية وذلك لتربعها على كتفين هما: الصحراء من جانب، والماء من جانب آخر، وهكذا مما ساعد على جذب السكان اليها، ويقول المستشرق ماسنيون: ان تمصير الكوفة وتثبيت القبائل البدوية الفاتحة المنتصرة واستقرارها على حافة الصحراء في ريف مماس الى لسان من الرمل اليابس النافذ في منطقة تروى بمياه شط عظيم وهو نهر الفرات[5].

اضافة الى قرب الكوفة من مدينة الحيرة (عاصمة المناذرة) تلك المدينة المتربعة على ساحل بحر النجف، واتصالها بريف العراق وسواده وبأرض شبه الجزيرة العربية والشام، وقد ورثت مدينة الكوفة هذه الخصائص، كما ورثت خصائصها العلمية والفكرية فقد كانت (عاقولا) مركز الثقافة قبل الاسلام، وقد عدت مدينة الحيرة في عصرها الذهبي احدى المدن العلمية الخمس التى تدرس الفلسفة اليونانية وهي: الرها، نصيبين، حران، جنديسابور، وقد ترعرع فيها الشعر العربي، واحتفظ النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) بدواوين الشعراء العرب وقد امتدت هذه الحركة العلمية إلى الكوفة منذ تأسيسها عام ١٧هـ/٦٣٨م حيث جمع العرب المسلمون بين العلم والجهاد، وقد أشار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة بقوله «الكوفة رمح الله، وكنز الإيمان وجمجمة العرب يجزون ثغورهم ويمدون الأمصار»[6]. فقد هبط على رمالها سبعون بدريا وثلاثمئة من أصحاب الشجرة، وهم من صحابة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي عام ٣٦هـ تحولت الكوفة الى عاصمة الدولة وقائدة لأمة، ويشكل هذا الحدث نقطة تحول في تاريخ مدينة الكوفة وأشار اليها الإمام علي عليه السلام بقوله: «الكوفة جمجمة الاسلام وكنز الإيمان وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء وايم الله لينصرن الله باهلها من مشارق الأرض ومغاربها كما انتصر بالحجارة»[7]. وأراد عليه السلام بذلك «حجارة السجيل» التي حملها طير الأبابيل التي أمطرت الأحباش عند غزوهم للكعبة الشريفة، وقد مرت مدينة الكوفة منذ تاسيسها بخطط إدارية واجتماعية ودينية وغيرها، وقد أعطت لمدينة الكوفة خصائص عمرانية وحضارية وهي:

الخطط الدينية:

يعد مسجد الكوفة أحد المساجد الأربعة في الاسلام التي لها قدسية ومكانة وروحية كبيرة واليه أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: (انه أحد المساجد الأربعة التي تعظم ولأن أصلي فيه ركعتين أحب الي من أصلي عشرة في غيره الا في المسجد الحرام ومسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد شيد المسجد في وسط المدينة «وبذلك يكون مسجد الكوفة هو محور المدينة ومركزها الرئيس»[8]. وقد قام بناؤه على أرض مربعة الشكل تقريبا بانحراف قليلا عن زاوية القبلة بمقدار سبعة عشرة درجة وكان طول الضلع المواجه للقبلة (١١٠متر) والجدار المقابل للقبلة يبلغ (١٠٩متر)، اما الضلعان الاخران فيبلغ طول كل منهما (١١٦مترا) ودلت الدراسات الآثارية ان الجدران كانت نازلة في الأرض الى عمق خمسة أمتار ونصف وان الجدران كانت مدعومة من الخارج بأبراج نصف دائرية ترتفع بارتفاع الجدران الى حدود عشرين مترا[9]. ولم يكن بمسجد الكوفة عند تخطيطه أروقة أو مجنبات باستثناء جانب فكان بالإمكان مشاهدة «دير هند» الواقع خلف خندق الكوفة من صحن المسجد وكانت باب الجسر في اتجاه الفرات[10]. وهذا يعني أنه لم تكن هناك جدران مرتفعة لكن كان سياج من قصب أو جدار صغير من لبن على أكثر تقدير[11]. وقد حدد المؤرخ الطبري موقع مسجد الكوفة بقوله:- «فاول شيء خط في الكوفة وبني حين عزموا على بناء المسجد، في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق»[12]. وكان المسجد يتسع لأربعين ألف نسمة في العصر الراشدي، ثم أصبح يتسع لستين في العصر الأموي، وقد حدد برمية سهم لرام، وابعادها «الغواة» وهي: تقدر برمية سهم[13]. ويقول الطبري: «فترك

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٩١/٤.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٦.
(٣) الفيروزابادي: القاموس المحيط، مادة«قرن».
(٤) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص٦.
(٥) ماسنيون: خطط الكوفة، ص١٥.
(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٥/٦.
(٧) م. ن ٦/٦.
(٨) حسين أمين: (مسجد الكوفة في التاريخ) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م، ص٤٠.
(٩) م. ن.
(١٠) الطبري: التاريخ ٤٧/٤.
(١١) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة، ص٩٩.
(١٢) الطبري: التاريخ ٤٤/٤.
(١٣) ابن منظور: لسان العرب ١٣٢/١٥.

المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وبني ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير»[1].

وبنيت في مدينة الكوفة مساجد أخرى لبطون القبائل، قد اكتسب بعضها صفة القدسية كمسجد السهلة، وهو مسجد القرى لعبد القيس ومسجد جعفي نسبة لجابر بن يزيد الجعفي المذحجي، ومسجد غني، وهو لرجل مؤمن من القيسين ومسجد الحمراء، وهم جماعة قد تحالفوا مع قبيلة عبد القيس، وفي الكوفة مساجد أخرى قد اتخذت مكانا للتآمر والدسائس والتي أطلق عليها لفظ (الملعونة) وهي أربعة: مسجد ثقيف، ومسجد الأشعث، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سماك بن مخرمة الهالكي الأسدي[2].

الخطط الإدارية:

اختط العرب المسلمون دار الإمارة بعد المسجد الجامع في الكوفة ويقع في جهته القبلية، ومن جهة الجنوب الشرقي، وقد حدده المؤرخ الطبري بقوله:- «وبنو لسعد بن أبي وقاص داراً بحيال مسجد الكوفة بينهما طريق منقب مائتي ذارع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم»[3]. ولما تعرض بيت المال للسرقة اثر ثقب أحدث في جداره، كتب سعد الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واصفاً له موضع الدار وبيت المال فأجابه بمايلي: «ان انقل المسجد حتى تضعه الى جنب الدار قبلته فان المسجد أهلك بالنهار والليل وفيهم حصن لمالهم»[4]. ولم يكن الخليفة راضياً على اجراءات سعد الادارية يعد بنائه قصر الامارة والذي اطلق عليه أيضاً لفظ (قصر سعد) لأنه جعل بينه وبين الناس باباً فكتب اليه قائلاً: «بلغني أنك بنيت قصراً واتخذته حصناً ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال، أنزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على قصر باباً تمنع الناس من دخوله وينفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت»[5].

وأطلق الامام علي عليه السلام على قصر الامارة لفظ «قصر الخبال» عند دخوله مدينة الكوفة في ١٢رجب ٣٦هـ فقيل له أي لقصرين نترلك؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه[6]. وقد أراد عليه السلام النزول في الرحبة[7]. وتقع الرحبة في الجهة الغربية من دار الامارة وقد عرفت فيما بعد باسم «رحبة علي»[8]. وبعد تاسيس الدولة الأموية عام ٤١هـ اتخذ ولاتها قصر الأمارة مقراً لهم حتى عام ٧١هـ حيث أمر عبد الملك بن مروان بهدم الطاق الذي وضع تحته رأس مصعب بن الزبير، ومن الثابت أن هذا الطاق قد وضع تحته رأس الحسين عليه السلام، ورأس عبيد الله بن زياد، ورأس المختار بن أبي عبيد الثقفي، ورأس مصعب بن الزبير، فقال عبد الملك بن عمير: وأنا أعيذ أمير المؤمنين من شر هذا المجلس فارتعد عبد الملك فقام من فوره وأمر بهدمه[9].

الخطط الاقتصادية:

تأسس في مدينة الكوفة دار الرزق وهو مخزن كبير لحفظ أموال الصدقات أو الغنائم قبل توزيعها بين المقاتلة وقد جدد بناء الدار عدة مرات وذلك لارتباطها الاداري بالولاة، ولأهميتها الاقتصادية ويبدو أن دار الرزق تقع على بعد من مسجد الكوفة وقصر الامارة وقد جعلها المستشرق (ماسنيون) عند مخرج الجسر المنصوب على نهر الفرات، فيقول:- وبعد تاسيس دار الرزق نصبت سلسلة على رأس الجسر مقام مركز الكمرك على عهد الساسانيين بالقرب من المشنقة التي صلب عليها أبو الخطاب (محمد بن مقلاص الأسدي)[10]. أما الاسواق فانها كانت تمتد من قصر الامارة ومسجد الكوفة الى دار الوليد بن عقبة من جهة، والقلائين من الجهة الأخرى، الى منازل ثقيف واشجع من الجانب الآخر، وكانت سقوف الاسواق في بادئ الأمر من الحصر، وظلت كذلك حتى زمن الوالي خالد بن عبد الله القسري، حيث عقدت بالأحجار[11]. وكانت أسواق الكوفة مخصصة للمهن المعروفة والصناعات التي أشتهرت في المدينة وهي[12]:

١- سوق الصاغة، وتقع محالهم في جنوب المسجد.
٢- سوق الخز والقصارين، وتقع محالهم في أطراف دار الوليد.
٣- سوق الحدادين، وتقع محالهم في غرب المدينة.
٤- سوق القلائين، يقع على أمتداد الكناسة.
٥- البقالون وباعة التمر.
٦- باعة الصابون.
٧- سوق السراجين، وهو على مقربة من سوق القصارين.
٨- الصيارفة، وتقع محالهم بالقرب من المسجد في جهة القبلة.
٩- الوراقون، وتقع محالهم في شمال المسجد.

(١) الطبري: التاريخ، ٤٤/٤.
(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص١١٧، ص١١٨.
(٣) الطبري: التاريخ، ٤٥/٤.
(٤) م.ن ٤٦/٤.
(٥) م. ن ٤٧/٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٧.
(٦) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٦.
(٧) الدينوري: الاخبار الطوال ص١٥٢.
(٨) اليعقوبي: البلدان ص٧٥.
(٩) المسعودي: مروج الذهب ١١٧/٣، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص١٤٨.
(١٠) ماسنيون: خطط الكوفة ص٩٣.
(١١) م. ن: ص٩٥.
(١٢) م. ن: ص١٠٤- ص١٠٥

١٠- أصحاب الانماط
١١ - الجزارون.
١٢- الحناطون.
١٣- السواقون، وهم باعة السويق، وهو طحين الشعير.
١٤- باعة الأزهار كالبنفسج والزنبق الأبيض.
١٥- سوق الغنم ويقع إل شرق الكناسة.

وأشتهرت مدينة الكوفة بصناعة الوشي والخز والعمائم والمناديل والسيوف والرماح والخزف والدهان، ويقول ابن الفقيه: ان للكوفة مكانة في صناعة النسيج منذ تأسيسها حتى العصر العباسي[١].

وفي مدينة الكوفة خطتان لهما في الحياة التجارية والاقتصادية موقع مهم هما: الأري والكناسة، ويطلق لفظ «الأري، على المساحة الكبيرة المخصصة للخيل، ويقول اليعقوبي: هو فضاء كانت فيه خيل المسلمين»[٢].

أما الكناسة فانها تمتد من قصر الإمارة ومسجد الكوفة الى دار الوليد بن عقبة من جهة، والى القلائين ودور ثقيف وأشجع من الجهة الأخرى[٣].

اما الكناسة، فقد كانت لبني أسد، ترمى فيها الأنقاض، ثم أصبحت تجارة للنقليات ومناخة الإبل، وموضعاً لتحميل البضائع وتفريغها، ويقع إلى جنب الكناسة «سوق الحدادين» وعلى شرقها «سوق الغنم»[٤].

وقد سكن الكناسة عدد من القبائل، لهم فيها مساجد بأسمائهم، وعلى العموم ان أسواق مدينة الكوفة تشكل عنصراً أساسياً في المساحة المركزية الى جانب الرحبة[٥].

الخطط الاجتماعية:

تعد الخطط القبلية في مدينة الكوفة أول مظاهر التحول الاجتماعي لهذه القبائل حيث حددت مناطق معينة لسكناهم، وكانت خطة كندة في مقدمة الخطط القبلية، وكان أهل اليمن اثنى عشر ألفاً، ونزار ثمانية آلاف غير ان سكان الكوفة سرعان ما ازداد من عشرين ألفاً الى اربعين يضاف لهم تسعة عشر ألفاً ممن أدرك (الولادات) وازداد عدد سكانها حسب احصاء اجراه زياد بن أبيه بين (٤٥- ٥٣هـ) فبلغ عدد المقاتلة في العطاء ستين ألفا وعيالاتهم ثمانين ألفاً، وهذه الاحصائيات تتعلق بالجند غير أن الاحصاء الشامل ورد عن بشر بن عبد الوهاب القرشي وحسب روايته كان في الكوفة خمسون الف دار للعرب من ربيعة ومضر، وستة وثلاثون الف دار لليمن وعشرون ألف دار لسائر العرب، ولاشك ان هذا لاحصاء متاخر لأن بشر بن عبد الوهاب قد توفي عام ٢٥٤هـ غير أنه يعكس لنا النمو المستمر للمدينة وتبقى الاحصائيات لا تعكس صورة دقيقه للموقع فهي لم تذكر الموالي وغير المسلمين والذين لدينا عنهم معلومات كثيرة في القرن الاول الهجري على الاقل[٦].

وقد خطت الكوفة وفق نظام الاسباع، وكان الغرض منه احكام الاشراف على القبائل وتنظيم العطاء، وكانت منازل الصحابة تتركز حول المسجد، وكانت من القصب ثم بنيت من اللبن، وقد حددت المصادر احد وعشرين خطة قبلية في الكوفة وهي[٧]:

١- سليم، ٢- ثقيف، ٣- همدان، ٤- بجيلة، ٥- تيم اللات، ٦- تغلب، ٧- أسد، ٨- النخع، ٩- كندة، ١٠- اللازد، ١١- مزينة، ١٢- تميم، ١٣- محارب، ١٤ - عامر، ١٥- جديلة، ١٦- جهينة، ١٧- عبس، ١٨- قيس، ١٩- بكر، ٢٠- طيء، ٢١- اشجع.

ويقول الاستاذ ماسنيون: ان اول المساكن بنيت في الكوفة في محلة كندة وهي منازل مراد، والخزرج من الانصار الذين كانوا قد سكنوا مع كندة في محلة واحدة عقب تحالفهم معها[٨]. وكان لكل سبع من أسباع الكوفة أمير، وهو الوسيط بين السلطة والقبيلة، وقد أقر الامام علي عليه السلام هذه الاسباع في فترة خلافته وهي[٩]:

١- صارت كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم، وجديلة هم بنو عمر بن قبس عيلان سبعاً.
٢- صارت قضاعة ومنهم غسان شبام، وبجيلة وخثم وكندة وحضرموت والازد سبعاً.
٣- صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.
٤- صارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً.
٥- صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبة وتغلب سبعاً.
٦- صارت أياد وعك وعبد القيس واهل هجر والحمراء سبعاً.
٧- صارت طيء سبعاً.

وتعد الأسباع هذه مجمعات سكنية وفق القيادات القبلية، وتفصل بين هذه الاقسام السبعة طرق رئيسية تسمى بالمناهج، وكان عددها حين تمصير الكوفة خمسة عشر منهجاً وهي التي أقطعها سعد بن أبي وقاص للقبائل المختلفة، وهذه المناهج قد

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص٢٥٢.
(٢) اليعقوبي: البلدان، ص٣١٠.
(٣) اليعقوبي: البلدان، ص٣١١.
(٤) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٢٤- ص١٢٥.
(٥) هشام جميط: الكوفة نشأة المدينة ص١١٢.
(٦) نزار الحديثي: (ملاحظات اولية عن مدرسة العلم في الكوفة) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، ٢٠٠١، ص٣٠.
(٧) اليعقوبي: البلدان ص٣١٠- ص٣١١، الطبري: التاريخ ١٩٢/٤.
(٨) ماسنيون: خطط الكوفة ص٣٨- ص٤٠.
(٩) الطبري: التاريخ ١٩٤/٤.

اختطت من المسجد باعتباره مركزاً لها[1]. والقيادات لهذه الأسباع هي[2]:

١- قيس وعبد القيس بقيادة سعد بن مسعود الثقفي.
٢- تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة واسد بقيادة معقل بن قيس اليربوعي.
٣- الازد وبجيلة وخثعم والانصار وخزاعة بقيادة مخنف بن سليم.
٤- كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة بقيادة حجر بن عدي الكندي.
٥- مذحج والاشعريون بقيادة زياد بن النصر.
٦- همدان وحمير بقيادة سعيد بن قيس بن مرة الهمداني.
٧- طيء بقيادة عدي بن حاتم الطائي.

ولما ولي زياد بن ابيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن ابي سفيان خطط مدينة الكوفة الى ارباع هي[3]:

١- اهل المدينة ربعاً وعليها عمرو بن حريث.
٢- تميم وهمدان ربعاً وعليها خالد بن عرفطة.
٣- ربيعة ربعاً وعليها قيس بن الوليد.
٤- مذحج واسد ربعاً وعليها ابو بردة بن ابي موسى الاشعري.

وكان غرض زياد بن ابيه من هذا التحول الاداري في الكوفة ضم كل ربع في هذه الارباع الى مجموعات قبلية متباينة، ولا ينسجم بعضها بعضاً من ناحية النسبة[4]. اما التوزيع الجغرافي للقبائل العربية في مدينة الكوفة كان على النحو الآتي[5]:

١- جهة الشمال (من الشرق الى الغرب) وقد سكنتها قبائل سليم وثقيف وهمدان وبخيلة وتميم اللات وتغلب.
٢- جهة الجنوب (من الشرق الى الغرب) وسكنتها قبائل الازد وكندة والنخع واسد.
٣- جهة الشرق (من الشمال الى الجنوب) وسكنتها قبائل الانصار ومزينة وتميم ومحارب واسد وعامر.
٤- جهة الغرب (من الشمال الى الجنوب) وسكنتها قبائل بجيلة وجديلة وجهينة.

وكانت بين أفنية البيوت «رحب ومفردها رحبة، وهي ظاهرة مدنيّة تتمثل في ترك فضاء ما امام البنايات العمومية، وهي توحي بالاتساع حيث تستوعب عدداً كبيراً من الناس، وقد اختطت كل قبيلة مع رئيسها جبانة»[6]. وقد أشارت المصادر الى جبانات الكوفة وتحديد مواضعها وهي[7]:

١- جبانة كندة وتقع في الجنوب.
٢- جبانة السبيع، وقد ورد ذكرها في شعر المتنبي.
٣- جبانة بشر وتقع في الشمال وهي لقبيلة طيء.
٤- جبانة خثعم.
٥- جبانة مراد في الجنوب وتقع في خطة مذحج.
٦- جبانة عثير الاسدي وكانت لقبيلة عبس.
٧- جبانة مخنف بن سليم الازدي.
٨- جبانة الصائديين في الجنوب الشرقي.
٩- جبانة سليم وهي لبني سلول.
١٠- جبانة سالم وهي لبني عامر من قيس.
١١- جبانة عرزم القزراي.

وتعبر جنابات الكوفة عن الوجود القبلي، وبفضل عددها وتعدد وظائفها وما كان لها من دور اجتماعي وعسكري وسياسي[8]. وكانت للكوفة جبانة كبرى تدعى «الثوية» وتقع في ظهر الكوفة[9]. وباتجاه مدينة النجف الاشرف، اذ يطلق على المنطقة الواقعة غرب خندق الكوفة بالظهر، فالجزء الاول منه، وهو الملاصق لمدينة الكوفة يسمى «الثوية» والجزء الآخر يسمى «الغري» ويمكننا القول ان الثوية هي امتداد طولي يبدأ من الخندق وينتهي بمدينة النجف الأشرف[10]. وتضم الثوية مقابر لقبائل الكوفة وقد دفن فيها عدد من الصحابة والتابعين، ومن المحتمل ان الفضاء الصحراوي الواسع والواقع غرب خندق الكوفة قد امتلكته قبائل عربية معروفة في الكوفة وقد اطلق عليه لفظ «الصحاري» كما مبين أدناه[11]:

١- صحراء شبث وهي لبني تميم.
٢- صحراء البردخت وهي لبني ضبة.
٣- صحراء بني قرار وهي لبني ضبة أيضاً.
٤- صحراء عبد القيس وهي لبني ربيعة.
٥- صحراء بني عامر وهي لعامر بن صعصعة.
٦- صحراء عثير.
٧- صحراء ام سلمة.
٨- صحراء سالم.
٩- صحراء عرزم.
١٠- صحراء أثير.

---

(١) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص٢٢٩.
(٢) نصر بن مزاحم: واقعة صفين ص١١٧.
(٣) الطبري: التاريخ ١٠٥/٦.
(٤) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص٨٥
(٥) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص١٢٨- ص١٢٩.
(٦) اليعقوبي: البلدان ص٣١٠.
(٧) البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٤٣.
(٨) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص٣٠٤- ص٣٠٥.
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥٠٦/٢.
(١٠) حسن الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) مجلة كلية الفقه، العدد الثاني ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١١٣-ص١٣٤.
(١١) البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٤٤.

ويذهب السيد البراقي الى ان الصحاري هذه عبارة عن قطاعات تتعلق برحاب وسطحها دور واقطاع[1]. وقد أخذت خطط الكوفة في التدهور والضمور من نهاية القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، وذلك لأنتقال الخلافة العباسية الى مدينة بغداد ومعها انتقل الكثير من العلماء والادباء والمفكرين الى بغداد، وتزامن مع هذا الحدث بروز المرقد العلوي الشريف في عهد هارون الرشيد، واخذت مدينة النجف الاشرف تبرز كحاضرة اسلامية جديدة، وقد ساعد اقترابُها من الكوفة الى هجرة الناس اليها وفي مقدمتهم العلويون الذين أشرفوا على رعاية المرقد الشريف، ولم يبق في الكوفة من خططها ما يقاوم عوادي الزمن سوى مسجدها الكبير، وقد وصف ابن جبير مدينة الكوفة عام ٥٨٠هـ بقوله: «هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على اكثرها، فالضامر منها اكثر من العامر، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لاتزال تضر بها، وكفاك يتعاقب الايام والليالي محبياً ومغنياً، وبناء هذه المدينة بالاجر خاصة، ولا سور لها، والجامع العتيق آخراها مما يلي، شرقي البلد، ولا عمارة تصل به من جهة الشرق»[2]. واخذت هذه الحالة في التدهور وقد صورها الرحالة الاوربيون بادق وصف، فيقول السيرواليس بوج عند زيارته للكوفة عام ١٨٩٠- ١٨٩١م: «كانت حالة البليدة تاعسه وبيوتها متداعية، كما إن الارض المحيطة بها لا تعود ان تكون بلقعاً خراباً»[3]. ووصف غرترود لا ثيان بيل الكوفة بقولها: «وهي الآن قرية صغيرة بائسة تتخذ شكلاً عنقودياً حول الجامع الكبير»[4]. وذلك في العقد الاول من القرن العشرين.

القسم الثاني: تخطيط مدينة النجف

يعد عام ١٧٠هـ بداية لتخطيط مدينة النجف الاشرف، وذلك بعد بروز المرقد العلوي الشريف، ومنذ هذا التاريخ اخذت مدينة النجف الاشرف بالتوسع كحاضرة اسلامية جديدة، فقد كانت زيارة المرقد ونقل الموتى اليه من قبل المسلمين سببا في ان يصبح الموضع قطبا لجذب بشري، فهاجرت اليه جماعات اسلامية، واخرى علوية ونشا من تواجدهم مستوطن صغير حول الضريح[5]. وقد امتاز تخطيط النجف عن غيرها من المدن العربية الاسلامية بظواهر خططية هي:

(١) م. ن.

(٢) إبن جبير: الرحلة ص١٦٧- ص١٦٨.

(٣) وليس بدج: رحلات الى العراق ١٧٧/٢.

(٤) طارق الحمداني: (نشوء مدينة الكوفة الحديثة وتطورها) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول ٢٠٠١م، ص٩١.

(٥) الموسوي:- العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن ص١٨١.

١- ظاهرة الأسوار

ارتبطت أسوار النجف بتطور المشهد الشريف من جهة، وتوسع المدينة من جهة اخرى، لان الاسوار بدأت أولاً بالمشهد الحيدري، فقد وردت أول اشارة لبناء سور يحيط بالمرقد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وذلك في عهد السيد محمد بن السيد زيد (الداعي العلوي) المتوفى عام ٢٨٧هـ[6]. وقام ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان، الذي تقلد ولاية الموصل عام ٢٩٢هـ ببناء سور حول المرقد الشريف، وجعله منيعاً[7]. واشارت بعض المصادر الى بناء عضد الدولة البويهي، المتوفى عام ٣٧٢هـ سوراً حول مدينة النجف الاشرف، ويبلغ محيطة الفين وخمسمائة خطوة[8]. ويبدو ان السور الذي اكمل عام ٤٠٠هـ على يد ابي اسحاق الارجاني كان سوراً محكماً، وقد نصبت عليه الابواب الحديدية، وقد استمر وجوده الى اواخر القرن السادس الهجري، وكان له بابان عام ٥٧٥هـ هما: باب السلام الكبير، وباب عبد الحميد النقيب بن أسامة، وفي عهد السلطان اويس الجلائري المتوفى عام ٧٧٦هـ اقيم سور جديد حول مدينة النجف الاشرف وقد بلغ محيطه (١٧٢١متراً) وله باب كبير يدعى باب البلدة[9]. وهذا له دلالة على اتساع مدينة النجف الاشرف في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وبقي هذا السور حتى القرن الثامن عشر الميلادي، حيث امر الوزير العثماني سليمان باشا عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م ببناء السور الاخير لمدينة النجف[10].

وقد جدده نظام الدولة محمد حسين العلاف عام ١٢١٧هـ وحفر خلفه خندقاً عميقاً، وأقام عليه الابراج المكتنفة بالمعاقل والمراصد والمخافر، وجعل له في طبقاته ثقوباً ومنافد متقاربة في الصغر والكبر لوضع فوهات المدافع والبنادق عند الحاجه[11]. واصبح للسور ثلاثة أبواب هي: الباب الكبير، وباب الثلمة، وباب السقائين، وقد وفر السور الاخير لمدينة النجف حماية من هجمات الاعراب المحيطين بالنجف، ومن اعتداءات الوهابيين المتكررة، ويقول ابن بشر: لما اقترب الوهابيون من النجف وجدوا خندقاً عريضاً عميقاً، فلم يقدروا على الوصول اليه، وجرى بينهم وبين سكان النجف مناوشة وقتال ورمي من

(٦) محبوبة:- ماضي النجف وحاضرها، ٢٠٩/١.

(٧) ابن حوقل:- صورة الأرض ص٢١٥.

(٨) المستوفي:- نزهة القلوب ص١٣٤، ابن شيروان: بستان السياحة ص٥٧٤.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٤٢/١١. ابن الوردي: التاريخ ٤٤٦/١، ابن طاووس: فرحة الغري، ص١٣١، المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٥٨. المختصر في أخبار البشر، ١٣٩/٢.

(١٠) الكوفي: نزهة الغري ص٧٠- ص٧١، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١٠٦/٦.

(١١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ٢١٢/١.

السور والبروج[1]. ويقول لونكريك: «ان الوهابيين اوشكوا على النجاح في النجف، ولولا ان عاجلهم النجفيون من السور فكسروهم شر كسرة»[2] وفي عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م بدأ التصدع في سور النجف فسقطت منه اربعَ عشرة شرافة، وفي عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م بدأ التفكير بتخطيط بلدة جديدة خارج السور من جهة الشرق، وقد احدثت الحكومة عدة أبواب متقاربة في السور لتسهيل عملية الانتقال من المدينة الى خارج السور، وفي عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م كان بداية تهديم السور، حيث فتحت منه خمس فتحات، وفي عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م قلع السور من جميع جهاته[3].

٢- ظاهرة الاسواق المتخصصة

جاء تخطيط الاسواق في مدينة النجف بعد بروز المرقد الشريف، اذ تنتهي بالاسواق، وقد وصفها ابن بطوطة عام ٧٢٧هـ بقوله: «فنزلنا مدينة مشهد علي بن بي طالب رضي الله عنه بالنجف، وهي مدينة حسنة في ارض فسيحة صلبة، من احسن مدن العراق واكثرها ناسا، واتقنها بناءا، ولها اسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة»[4]. واشار الى اسواق النجف المتخصصة وهي: سوق البقالين، وسوق الطباخين، وسوق الخبازين، وسوق الفاكهة، وسوق الخياطين، وسوق العطارين، وذكر ايضا «القيسارية» و«السوق الموسمي» وقد وصفه في ليلة السابع والعشرين من رجب بقوله: «وفي هذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقا عظيمة مدة عشرة أيام»، ووصف ابن بطوطة العمل التجاري للنجفيين بقولة: «واهلها -أي النجف- مسافرون في الأقطار وهم اهل الشجاعة والكرم ولايضام جارهم، صحبتهم الأسفار فحمدت صحبتهم»[5]. ويقول الاستاذ الموسوي: «ويبدو ان هذا التجمع العمراني الذي وصفه ابن بطوطة يحتشد حول الضريح على شكل استطالة بسبب خصائص الموضع، تخترقه مسالك ودروب ضيقة موزعا على شكل محلات أربع لم تكن منتظمة ولا متميزة تنتسب كل واحدة منها الى عالم من الاعلام او اربع مشهور»[6] وقد سميت بعض اسواق النجف باسم اطرافها الواقعة داخل السور، كسوق المشراق، وسوق العمارة، وسوق الحويش، وبقيت ظاهرة الاسواق المتخصصة تصاحب تاريخ مدينة النجف حتى عصرنا الحاضر كسوق الصاغة، وسوق العطور، وسوق المسابك، وسوق العبايجية، وسوق الكتب، وعند دخول الرحالة (تكسيرا) مدينة النجف عام ١٦٠٤م فوصف اسواقها بقوله: «ويشاهد في هذه الحاضرة خرائب اسواق معقودة كما هي العادة في المدن القريبة، وبناء هذه الاسواق يدل على ما كان لهذه المدينة من مجد ماض»[7] ومن المحتمل ان تعرضت اسواق النجف الى الخراب في القرن السادس عشر الميلادي كان نتيجة الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية في تلك الفترة، واشار الرحالة نيبور عام ١٧٦٥م الى السوق اليومي في النجف، والذي كان يقام في الساحة الخالية الواقعة امام مرقد الامام علي عليه السلام[8]. وبقيت أسواق النجف تقترب من الصحن الشريف، لأن الزائر بعد اداء مراسيم الزيارة، يدخل الاسواق ويشتري منها ما يريد وبخاصة الصناعات النجفية التقليدية، وفي عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م قام المسؤول العثماني شبلي باشا بتنظيم اسواق النجف وتوسعها وازال الابواب التي كانت تشكل حاجزا بينها، وجعل الأسواق ذات منهج واحد[9].

٣- ظاهرة المحال المحيطة بالمرقد الشريف

صاحب النمو المعماري والحضاري لمدينة النجف، ازدياد عدد السكان المجاورين لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وبناء الدور حوله والدفن بالقرب منه، دون ان يكون هناك مخطط من قبل ولاة الامور والحاكمين كما هو الحال في تخطيط الامصار العربية الاسلامية فبرزت محال واختفت محال جديدة نتيجة التوسع العمراني للنجف عبر اسوارها، وبقي المرقد الحيدري الشريف نقطة الارتكاز لهذه المحال قبيل ان تبرز الاطراف الاربعة الواقعة داخل السور الاخير وهي:

١- طرف المشراق.
٢- طرف العمارة.
٣- طرف الحويش.
٤- طرف البراق.

وعند زيارة الرحالة نيبور لمدينة النجف عام ١٧٦٥م وصفها بالقول: ان النجف تشبه القدس من حيث التصميم والسعة، ولكن التوسع العمراني عبر الاسوار قد ازال الكثير من المعالم التاريخية، فتشير بعض الوثائق الى مؤسسات ثقافية ودينية وخدمية في عهد من العهود، ولم نجد اليوم اثرا في الاطراف الاربعة المذكورة، وقد وضع المستشرق الفرنسي«ماسنيون» لمدينة النجف الاشرف خارطة اثناء زيارته لها في الفترة بين ١١-١٧ مارت ١٩٠٨م وحدد فيها

(١) ابن بشر:- عنوان المجد ١٣٥/١، فيلبي: تاريخ نجد ص١١٥.
(٢) لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٢٧٧.
(٣) حسن الحكيم: (أسوار مدينة النجف الأشرف) مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الثامن والثلاثون ١٩٨٢م، ص٢١٥.
(٤) ابن بطوطة: الرحلة ١٠٩/١.
(٥) م. ن ١١٠/١.
(٦) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص١٨٣.
(٧) الخياط:- (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف ٢٠٣/١.
(٨) نيبور:- مشاهدات نيبور في رحلته ص٨١.
(٩) مجلة الحضارة:- (آل فقطان)، السنة الثالثة ١٩٤٤م.

الاطراف الاربعة بقوله ان الشمرت تسكن طرف المشراق ما بين باب البحر القديم المسمى اليوم بباب الثلمة وباب الصغير، وثلاث محلات واسعة للزكرت، وهي العمارة وتشمل الجامع وسوق القاضي في الجنوب الغربي، ومحلة الحويش الصغير والكبير في الجنوب، ومحلة البراق مع السوق الكبير من الشرق[1]. ولم يكن ماسنيون دقيقا في هذا التحديد الخططي والاجتماعي لمدينة النجف لان طرف المشراق الذي يقع في شمال المرقد الشريف، والذي تسكنه جماعة الشمرت لم يمتد الى «باب الثلمة» التي هي جزء من طرف العمارة التابع لجماعة الزكرت، ووضع الجامع، وهو المقصود به مرقد الامام علي عليه السلام جزءا من طرف العمارة في حين انه يتوسط الاطراف الاربعة. ونحن اذا درسنا الواقع الخططي لمدينة النجف قبيل استحداثات البلدية من فتح شوارع وساحات وازالة معالم وشواخص نقف على ارث حضاري وتراثي يمتد الى اكثر من الف عام، وكانت هناك محال صغيرة قد احتضنتها الاطراف الاربعة، ففي طرف المشراق محلات: العلا، وعجرم، والخيابان، والزنجيل، والمصبغة، وفي طرف العمارة محلات: الرباط وعمارة المؤمنين، والمسيل، وقبة المصطفى، وحوض شطيب وشرفشاه، وزين العابدين، واستحدثت خارج السور محلة «عطية ابو كلل»، وفي طرف الحويش محلات: الجية وباب النهر والمستقى والهجوج، وفي طرف البراق محلات: آل جلال والزنجيل «هذه المحلة تمتد الى طرف المشراق» وسيلوه، والجمالة، ومن المحتمل ان محال العميد وسوق الغزل والاعتماد في طرف البراق ايضاً. وتبرز في هذه المحال القديمة ظاهرة الاطوال التي تسمى(السوابيط) وهي عبارة عن قباب معقودة على الأزقة الضيقة، وتكون عادة فوق طريق نافذ او اكثر من طريق، وظاهرة الفضوات وهي مساحات واسعة تنتهي عندها الازقة وابعاد «الفضوة» لا تزيد عن خمسين أو ستين متراً ومساحتها تبلغ ثلاثة آلاف متر مربعاً تقريباً[2]. وتعد الفضوة منطقة الفضاء الاكبر التي تمثل البؤرة الحيوية في وسط التجمع تقريباً وتتلوها فضاءات منتشرة اقل اهمية واصغر مساحة[3]. وقد وصفت السيدة «دراور» ظاهرة الازقة الضيقة في مدينة النجف بقولها: ان النجف ذات شوارع ليست على شيئ من الاستقامة والتنظيم، وتعلو الأزقة فيها طوق البيوت ولها نوافذ ناتئة والازقة ضيقة متعرجة ولا تنفذ اشعة الشمس اليها الا لماماً[4].

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٣٤، ص١٣٥.

(٢) الخليلي: العوامل التي جعلت النجف بيئة شعرية ص٢٣.

(٣) النجم: اثر معالم التخطيط العمراني ص٩٠.

(٤) دراور: في بلاد الرافدين ص٧١- ص٧٣.

١- البيت النجفي وخصائصه

يمتاز البيت النجفي في الاطراف الاربعة بخصائص تكاد تكون منفردة عن بيوت المدن الاخرى من حيث البناء والتصميم وفي مقدمتها وجود الاحواض والأبار والسراديب والمقابر وهذا مما اعطى لمدينة النجف خصائص عمارية وتخطيطية وفنية متميزة اذ تطل على الازقة الضيقة شناشيل على اختلاف انواعها واشكالها تبرز امام بعض شبابيكها مشربيات حديد ذات اشكال ووضعيات مختلفة ويتصدر مدخل البيت باب خشب كبير ذو مصرعين تعلوه وتحف به من الجانبين زخارف هندسية آية في الدقة والجمال وتزين الباب زخارف بنائية تزيد من جمالية واجهة البيت النجفي المتميز[5]. ويؤدي الباب الى مجاز يطلق عليه لفظ «الدولان» يختلف في تصميمه من بيت الى آخر، منه المدخل المنكسر، وهو الأكثر شيوعاً والمدخل ذو المحور المستقيم، ومنه الى ساحة البيت المكشوفة في الغالب ومبلطة بالطابوق الفرشي تطل عليه عدة غرف، وغرفة البراني معزولة عن الدخلاني، وسقوف هذه الغرف تكون على شكل القباب القديمة (طاق معقود من الجص والآجر) او مسقفة بجذوع النخل او جذوع الاشجار الأخرى وفوقها كميات من السبوس وهو قشور الرز أو الرماد والأتربة وقاية من مياه الامطار والحرارة والبرودة[6]. ووصف الرحالة (نيبور) البيت النجفي عام ١٧٦٥م بقوله:- ان بيوت النجف تبنى من الكلس الصالح للبناء لأنه زهيد الثمن جداً بينما يكون الخشب مرتفع السعر للغاية فان البيوت جميعها مشيدة بالطابوق المفخور والمبني بالكلس، بل انها معقودة بشكل قباب مما يجعلها شديد المقاومة[7].

وتحتل باحة البيت النجفي في الغالب حوض للماء وبئر تنصب فوق فوهته بكرة خشبية يمر فوقها حبل طويل مصنوع من سعف النخيل يسمى (العدة) ينتهي بدلوين في كل طرف دلو مصنوع من الجلد يغترفون بهما من ماء البئر، ويجمع الماء في حوض يقع في وسط الدار[8]. ولكن هذه الاحواض قد منعتها السلطات الصحية عام ١٩٣٦م بعد وصول ماء الاسالة الحديثة الى النجف[9]. وتقع البالوعة في باحة البيت وفي الكثير من البيوت بالوعتان، احدهما للماء الطاهر، والاخر للماء النجس، فقد كانت الأسر النجفية تمنع ربط مجرى الكنيف ومجرى مياه

(٥) حميد محمد محسن:- البيت التراثي النجفي ص٣.

(٦) الشرقي: النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها ص٨٣.

(٧) نيبور ك مشاهدات نيبور في رحلته ص٧٨.

(٨) الشرقي: البيت النجفي القديم، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثالث ١٩٩٠م، ص١٥.

(٩) جريدة الهاتف، العدد (٤٠) السنة الثالثة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.

الغسيل ببالوعة واحدة لموانع دينية واجتماعية[1]. وترتبط البلاليع بالسراديب وتسمى «بلاليع السن» لأنها تتجاوز طبقتي السن ورأس الطار او سن الطار[2]. ويذهب الحاج عبد المحسن شلاش الى تصنيف بلاليع النجف الى ثلاثة اصناف هي: ما كان عمقها الى معدل ستة امتار تقريباً وتنتهي في طبقة الرمل الاول: وما ينفذ عمقها الى معدل عشرة أمتار تقريباً، وما ينفذ عمقها الى معدل ستة عشر متراً تقريباً الى طبقة الزغل[3]. اما السراديب فانها تختلف تبعاً لحجم البيت وسعة حال صاحبه، واغلب السراديب تطل على فوهة بئر للتهوية والتبريد[4].

ولا يخلو بيت داخل السور من سرداب أو اكثر، وقد وصف الرحالة محمد ثابت هذه الظاهرة العمرانية في النجف بقوله: «نرى نصف البلدة تحت الارض في سراديب بعض في طبقات قد تفوق الخمس نزلت في بعضها فبدت كالتيه لا يعلم لها أول ولا آخر، وهم يخبئون فيها من وهج الصيف ويدبرون فيها ثوراتهم ويكتمون أسرارهم»[5].

وأشار توماس لايل الى سراديب النجف بقوله: «ان المزية الفريدة في النجف وجود طبقة واحدة منها في كل بيت على الاقل قد توجد في بيوتها الكبيرة ثلاث أو أربع أو خمس من هذه السراديب ومزيتها ان المرء يتحتم عليه لبس المعطف حينما ينزل الى ما تحت الطبقتين أو الثلاث بينما تكون حرارة الخارج حدود ١٢٥ درجة بالمقياس الفهرنهايتي»[6]. وتقسم السراديب النجفية من حيث العمق الى اربعة اقسام هي: السرداب الارضي أو العادي، والسرداب المعروف بنصف السن، وسرداب السن، وسرداب سن الطار، وهذا الاخير يكون نادراً لأنه يصل الى طبقة (الزغل) ويكون معدل عمقه ثمانية عشر متراً، ولهذه السراديب حفائر تسمى (البادكيرات) وهي متوازية الأضلاع بقطر مترين اواقل، وفي عمق عشرين متراً وغرضها ايصال النور الى عمق السرداب وجلب النسمات المنعشة[7]. وتتصل السراديب بالآبار بواسطة شبابيك، وهذه الآبار تختلف في العمق، ويقول الشيخ علي الشرقي: «كان في كل بيت نجفي بئر مطوية، يتفاوت عمقها بين خمسين والسبعين ذراعاً يتح منها الماء غير السائغ للشرب»[8]. وقد وصف الرحالة الغريبون من أمثال «بيدروتكسيرا» و«تافرنيه» و«نيبور» و«جون بيترز» وغيرهم آبار النجف وملوحة مائها، وتقسم من حيث العمق الى قسمين هما: الآبار النبعية والآبار العباسية.

خاتمة البحث

مر على تأسيس مدينة النجف الاشرف اربعة عشر قرناً، وقد تغيرت خلال هذه المدة استعمالات الارض نتيجة المتغيرات الحضارية والعمرانية ولكن بقيت النجف تحتفظ بخصائصها التراثية والتاريخية والدينية، وأصبح من الواجب الوطني والقومي الحفاظ على الموروث النجفي وما فيه من القيم المعمارية الأصيلة وما بقي في اطراف النجف الاربعة من معالم تراثية كالأزقة والأطواق والسراديب والمدارس الدينية والمساجد القديمة وغيرها، ونضع أمام المسؤولين هذه التوصيات:

١- تنظيم المباني المحيطة بالصحن الشريف بما يتناسب مع قدسية المرقد.
٢- العناية بمقبرة وادي السلام واعتبارها مقبرة للمسلمين جميعاً.
٣- استثمار منطقة بحر النجف سياحيا وتنظيم كورنيش البحر بدءا من مقام الامام زين العابدين وحتى حي الثورة.
٤- الاحتفاظ بالدور التراثية وما تظم من سراديب ومقابر وزخارف عربية اسلامية.
٥- ترميم بقايا سور النجف وخان الشيلان لأنهما يحكيان التاريخ النضالي لمدينة النجف الاشرف.
٦- صيانة السوابيط القائمة في الاطراف الأربعة، والحفاظ عليها من السقوط
٧- الابقاء على الأسواق المتخصصة لأنها تعطي طابع القدم التاريخي لها.

المصادر والمراجع

* الأسدي: حسن.
١- ثورة النجف، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
* البراقي: حسين النجفي(ت١٣٢٢هـ)
٢- تاريخ الكوفة، مطبعة الحيدرية، النجف الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
* بدج، سرروليس
٣- رحلات الى العراق، نقلة الى العربية، فؤاد جميل، مطابع دار الزمان وشفيق/بغداد ١٩٦٦- ١٩٦٨م.
* ابن بشير: عثمان بن بشر النجدي.

(١) المظفر: مدينة النجف الكبرى، ص٦٩.
(٢) الاسدي:- ثورة النجف ص١٨.
(٣) شلاش: آبار النجف ص٨
(٤) الشرقي:- النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها ص٣٨.
(٥) محمد ثابت: جولة في ربوع الشرق ص١٠٦.
(٦) الخياط:- (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف ٢٩٧/٢.
(٧) بيتردي قوصيل: الحياة في العراق منذ قرن ص٤٤.
(٨) الشرقي: الأحلام ص١٠٦.

٤- عنوان المجد في تاريخ نجد، المطبعة السلفية/مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ
* ابن بطوطة: ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي.
٥- الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار) مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م
* بييري قوصيل
٦- الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤- ١٩١٤ ترجمة الدكتور اكرم فاضي دار الجمهورية/بغداد ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
* البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى
٧- فتوح البلدان، دار الكتب العلمية/ بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
* ابن جبير: ابو الحسن محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ).
٨- رحلة ابن جبير، دار التراث، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
* ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ).
٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ حيدر اباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ
* حسين أمين (الدكتور)
١٠- مسجد الكوفة في التراريخ، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الاول ٢٠٠١م.
* الحديثي: نزار عبد اللطيف (الدكتور)
١١- ملاحظات اولية عن مدرسة العلم في الكوفة، مجلة الكوفة المجلد الخامس، العدد الاول ٢٠٠١م.
* الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)
١٢- اسوار مدينة النجف الاشرف، مجلة سومر، الجزء الاول والثاني، المجلد الثامن والثلاثون ١٩٨٢م.
١٣- الثوية موقعها وتاريخها، مجلة كلية الفقه، العدد الثاني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
* الحمداني: طارق نافع (الدكتور)
١٤- نشوء مدينة الكوفة الحديثة وتطورها حتى الحرب العالمية الأولى، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الاول ٢٠٠١م.
* حميد محمد حسن (الدكتور)
١٥- البيت التراثي النجفي تخطيطه وعمارته
* ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي
١٦- صورة الأرض، بريل ليدن ١٩٣٨م، الطبعة الثالثة، دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٧٩م.
* ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)
١٧- وفيات الاعيان وانباء الزمان، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر بيروت.
* الخليلي: جعفر
١٨- العوامل التي جعلت النجف بيئة شعرية، مطبعة الآداب/ النجف الاشرف ١٩٧١.
* الخياط: جعفر
١٩- النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف، دار التعارف/ بغداد
* دراور (ليدي)
٢٠- في بلاد الرافدين صور وخواطر، نقلة الى العربية فؤاد جميل، مطبعة شفيق/ بغداد- الطبعة الأولى ١٩٦١م.
* الدينوري: ابو حنيفة احمد بن داود
٢١- الاخبار الطوال، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي/ مصر.
* سبط ابن الجوزي: شمس الدين
٢٢- تذكرة الخواص، طبع حجر ١٢٨٥هـ
* ابن سعد: ابو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ)
٢٣- الطبقات الكبرى، دار صادر/ بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
* الشرقي: طالب علي
٢٤- البيت النجفي القديم، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثالث ١٩٩٠م.
٢٥- النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ١٩٧٨م.
* شلاش: عبد المحسن
٢٦- آبار النجف ومجاريها، مطبعة الراعي/ النجف الاشرف ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
* ابن شيرواني: زين العابدين
٢٧- بستان السياحة، مطبعة كلبهار/ اصفهان،١٣٤٢م.
* ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (ت٦٩٣هـ)
٢٨- فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ
* الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)
٢٩- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطابع دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
* العزاوي: عباس

٣٠- تاريخ العراق بين الاحتلالين، مطبعة بغداد، والتفيض الأهلية ١٩٣٥هـ - ١٩٥٦م
* ابو الفدا: عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ)
٣١- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية/ الطبعة الاولى
* ابن الفقية: ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني
٣٢- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل/ ليدن ١٣٠٢هـ
* الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)
٣٣- القاموس المحيط القاهرة، مؤسسة الحلبي.
* فيلبي: سنت جون
٣٤- تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديراوي، دار الشمالي للطباعة/ بيروت.
* ابن كثير: ابو الفداء
٣٥- البداية والنهاية، مكتبة المعارف/ بيروت، الطبعة الاولى ١٩٦٦م.
* الكوفي: محمد بن الشيخ عبود (ت١٣٥٢هـ)
٣٦- نزهة الغري في تاريخ النجف، مطبعة الغري الحديثة/ النجف ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
* لونكريك: ستيفن هيمسلي
٣٧- اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخياط مطبعة المعارف، بغداد، الطبقة الرابعة ١٩٦٨م.
* ماسنيون: لويس
٣٨- خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، الطبقة الاولى المحققة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩مطبعة الغري الحديثة/ النجف الاشرف
* محبوبة: جعفر الشيخ باقر
٣٩- ماضي النجف وحاضرها - المطبعة العلمية، ومطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٩٥٥- ١٩٥٧م.
* محمد ثابت
٤٠- جولة في ربوع الشرق الأدنى بين مصر وافغانستان، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.
* المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين(ت ٣٤٦هـ)
٤١- مروج الذهب والمعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الخامسة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
* المستوفي: محمد عبد الله
٤٢- نزهة القلوب، طبع حجر، بومبيء ١٣١١هـ
* المظفر: محسن عبد الصاحب
٤٣- مدينة النجف الكبرى دراسة في نشاتها وعلاقتها الاقليمية، دار الحرية للطباعة/ بغداد ١٩٨٢م.
٤٤- لسان العرب دار صادر/ بيروت
* الموسوي: مصطفى عباس
٤٥- العوامل التاريخية لنشاة وتطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر/ بغداد١٩٨٢.
* ناجي حسن (الدكتور)
٤٦- القبائل العربية في المشرق، خلال العصر الاموي، مطبعة منيمنة/ بيروت ١٩٨٠.
* النجم: عبد السلام عبد الحسين
٤٧- اثر معالم التخطيط العمراني على برمجة السلوك الاجتماعي، منطقة الدراسة مدينة النجف، جامعة بغداد ١٩٩٠م.
* نصر بن مزاحم المنقري(ت٢١٢هـ)
٤٨- واقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني/ القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ
* نيبور: كارتس
٤٩- مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥هـ ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة/ بغداد ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
* هشام جعيط
٥٠- الكوفة نشاة المدينة العربية الاسلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر/ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
* ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ)
٥١- تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م
* ياقوت: شهاب الدين ابو عبد الله الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ)
٥٢- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
* اليعقوبي: احمد بن واضح (ت٢٩٢هـ)
٥٣- البلدان، المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف، الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م

* * *